كفر أبي سفيان ونفاقه من فتح مكة إلى عهد عثمان

من العناوين التي لن نستعرضها الآن:

١ يوم فتح مكة (وما قبله بقليل.. ودلائل نفاقه من يوم إعلان إسلامه)

٢ -يوم حنين (وكانت معه الأزلام وتمنيه هزيمة النبي (ص)..

٣ -يوم تبوك (مشاركته في محاولة اغتيال النبي ص) = راجع كتاب الدبيلة)

٤ -يوم وفاة النبي (ص) وقوله : (يا لغالب الدين العتيق .. وحسده بني هاشم).

٥ نفاقه يوم اليرموك وقوله : (يا ويح بني الأصفر) وتعجب الصحابة من نفاقه!

٦ حديث حذيفة قوله : شيخ كبير لو شرب الماء ما وجد برده.. يقصد به أبا سفيان.

٧ نفاقه يوم تولي عثمان : تلقفوها فما من جنة ولا نار.. وهذه سنتوسع فيها هنا.

قوله أيام بيعة عثمان: ما من جنة ولا نار..

قال البلاذري في الأنساب (١٩/٥):

١ روي عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال: قال أبو سفيان حين قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (تلقفوها الآن تلقف الكرة فما من جنة ولا نار)!! والإسناد فيه مجهول والرجلان هشام وابن سيرين ثقتان.

٢ -وروى البلاذري في الصفحة نفسها بإسناد آخر مع اختلاف المناسبة، فقال: عن هشام الكلبي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن أبا سفيان دخل على عثمان وهو مكفوف ثم خرج من عنده وهو يقول: (تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فما الأمر على ما يقولون)!! والإسناد رجاله ثقات إلا الكلبي المؤرخ النسابة يضعفه أهل الحديث، لكنه ثقة عند التحقيق، وإسناده مع الإسناد السابق قوي، خاصة مع اختلاف المخرج للشواهد الآتية وكون الخبر في التاريخ، وكونه شخصية أبي سفيان لا يستغرب منها حدوث هذا، لتاريخه العريق في الكفر ولإسلامه بعد الهزيمة وحيث لا مصلحة في بقائه على الشرك.

٣ -وروى ابن عساكر (٤٧١/٢٣) من طريق عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك (أن أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمي، فقال: ههنا أحد؟! قالوا: لا، فقال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية والملك ملك عصبية! واجعل أوتاد الأرض لبني أمية).

٤ -وذكر ابن عبد البر (٨٧/٤) رواية عن الحسن -لم يذكر إسنادها- أن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: (قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة وأجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار) فصاح به عثمان.اهـ ، وأثر الحسن هذا -رغم أن ابن عبد البر لم يذكر لنا رجاله- فيه شاهد لأثر ابن سيرين وأنس بن مالك.

٥ -وفي الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ٢ / ص ٣٥) قال ابن حجر: وروى البغوي بإسناد صحيح عن أنس أن أبا سفيان دخل على عثمان عبد ما عمي وغلامه يقوده. (قلت: وبتر الحديث أحد المصنف والحديث سبق مطولاً) / وهو في مصدر أقدم من البغوي، ففي الجزء المتمم لطبقات ابن سعد - (ج ١ / ص ٢٤) قال : أخبرنا عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : أخبرنا هشام بن زيد بن أنس ، عن أنس بن مالك ، « أن أبا سفيان بن حرب ، دخل على عثمان بن عفان بعد ما عمي وغلامه يقوده »

٦ -ومن رسالة المأمون: (تاريخ الطبري - (ج ٨ / ص ١٨٥) (ومنه ما يرويه الرواة من قوله يا بنى عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده ههنا ذببنا محمدا وأصحابه)

٧ -مروج الذهب - (ج ١ / ص ٣١٠) قد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبى سفيان: أفيكم أحد من غيركم؟ وقد كان عدي، قالوا: لا، قال يا بني أمية، تَلَقَفُوِهَا تلقُفَ الكرة، فوا لذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرَنَ إلى صبيانكم وراثة، فانتهره عثمان، وساءه ما قال..الخ

٨ -الاستيعاب – (ج ١ / ص ٥٣٧) وطائفة ترى أنه كان كهفا للمنافقين منذ أسلم وكان في الجاهلية ينسب إلى الزندقة . وفي حديث ابن عباس عن أبيه أنه لما أتى به العباس وقد أردفه خلفه يوم الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وسأله أن يؤمنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له : " ويحك يا أبا سفيان أما آن لك أن تعلم أن لا اله إلا الله " . فقال بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وكرمك والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إلها غيره لقد أغنى عني شيئا . فقال : " ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله " . فقال : بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك أما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس : ويلك اشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك فشهد وأسلم ثم سأل له العباس رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يؤمن من دخل داره وقال : إنه رجل يحب الفخر والذكر فأسعفه رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك وقال : " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل الكعبة فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه على نفسه فهو آمن " وفي خبر ابن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال : فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان إيه بني الأصفر فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان : وبنو الأصفر الملوك ملوك الر ... وم لم يبق منهم مذكور / فحدث به ابن الزبير أباه لما فتح الله على المسلمين فقال الزبير : قاتله الله يأبى إلا نفاقا أولسنا خيرا له من بني الأصفر وذكر ابن المبارك عن مالك ابن مغول عن أبي أبجر قال : لما بويع لأبي بكر الصديق جاء أبو سفيان إلى علي فقال : أغلبكم على هذا الأمر أقل بيت في قريش أما والله لأملأنها خيلا ورجالا إن شئت . فقال علي : ما زلت عدوا للإسلام وأهله فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئا إنا رأينا أبا بكر لها أهلا وهذا الخبر مما رواه عبد الرزاق عن ابن المبارك

٩ -وعقد الأصفهاني في كتبه الأغاني – (ج ٦ / ص ٣٧٠) فصلاً بعنوان: عدم إخلاصه الإسلام جاء فيه: حدثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجعد قالا حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحى بن عباد عن عبد الله بن الزبير قال لما كان يوم اليرموك خلفني أبي فأخذت فرسا له وخرجت فرأيت جماعة من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفت معه فكانت الروم إذا هزمت المسلمين قال أبو سفيان إيه بني الأصفر فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان (وبَنُو الأصفر الكرامُ ملوكُ الرّوم ... لم يبق منهمُ مَذْكورُ) فلما فتح الله على المسلمين حدثت أبي فقال قاتله الله يأبى إلا نفاقا أولسنا خيرا له من بني الأصفر ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله يقول حدثهم فأحدثهم فيعجبون من نفاقه / حدثني أحمد بن الجعد قال حدثني ابن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كف بصره فقال هل علينا من عين فقال له عثمان لا فقال يا عثمان إن الأمر أمر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بني أمية / حدثني

محمد بن حيان الباهلي قال حدثنا عمر بن علي الفلاس قال حدثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مغول عن أشعث بن أبي الشعثاء عن ميسرة الهمداني عن أبي الأبجر الأكبر قال جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أبا الحسن ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلها فوالله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجلا فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أبا سفيان طالما عاديت الله ورسوله فما ضرهم ذلك شيئا إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا / أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لما ولي أبو بكر قال : (وأضحت قريش بعد عزّ ومَنْعةٍ ... خُضُوعاً لتَيْمٍ لا بضربِ القواضبِ) (فيا لهف نفسي للذي ظَفِرتْ به ... وما زال منها فائزاً بالغرّائب) / وحدثني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال لما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان فقال يا معشر بني أمية إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها وقد صارت إليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة فوالله ما من جنة ولا نار هذا أو نحوه فصاح به عثمان قم عني فعل الله بك وفعل/ ولأبي سفيان أخبار من هذا الجنس ونحوه كثيرة يطول ذكرها وفيما ذكرت منها مقنع / والأبيات التي فيها الغناء يقولها في سلام بن مشكم اليهودي ويكنى أبا غنم وكان نزل عليه في غزوة السويق فقراه وأحسن ضيافته فقال أبو سفيان فيه (سقاني فَرَوَّاني كُمَيْتاً مُدامةً ... على ظمَأٍ منّي سَلاَمُ بن مِشْكَمِ)..الخ

١٠ – و في أخبار الدولة العباسية – تحقيق الدوري (ج ١ / ص ٤٨) (.. قال ابن عباس: لئن قلت ذلك يا معاوية لطالما انكرتم ضوء البدور، وشعاع النور، وسميتم كتاب الله بيننا اسطورا، ومحمدا صلى الله عليه وسلم ساحرا وصنبورا (٣)، ولقول القائل تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة، لا بعث ولا نشور،..) من رواية ابن داب وابن إسحاق، والمؤلف مجهول والأسلوب قصصي.

١١ – وهذه لغة معاوية وأبيه: ففي الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري – (ج ٢ / ص ١١٧) التزقّف والتلقّف أخوان وهما الاستلاب والاختطاف بسرعة ومنه : إن أبا سُفْيان رضى الله عنه قال لبنى أمَّية : تَزقَّفُوها تَزقُّفَ الكُرَة وروى : تَلقَّفُوها يعنى الخلافة . وعن معاوية رضى الله عنه : لو بلغ هذا الأمرُ إلينا بنى عبد مناف تَزَقَّفْنَاه تزقُّفَ الأُكْرة اهـ.

١٢ – وفي النهاية في غريب الأثر لابن الأثير– (ج ٢ / ص ٧٥٨) منه الحديث [بلغ عمرَ أنّ مُعاَوية قال : لو بلغ هذا الأمرُ إلينا بَنِى عَبْد مَناف – يعني الخلافة – تَزَقَّفناه تزقُّف الأُكْرة] التزقُف . كالتَّلقُّف . يقال تزقفت الكُرةَ وتلقَّفْتها وهو أخذُها باليد على سَبيل الاخْتِطاف والاسْتلاب من الهواء . وهكذا جاء الحديثُ [الأكْرة] والأفصح الكُرَة ، .. ومنه الحديث [إنّ أبا سُفيان قال لبَنى أُميَّة : تَزَقَّفُوها تَزَقُّفَ الكُرَة] يعني الخلافة

١٣ – وفي العباب الزاخر للصاغاني – (ج ١ / ص ٤٢٦) : (وعن معاوية – رضي الله عنه – : أنه لمّا بلغه أن عمر – رضي الله عنه – تولى الخلافة قال: لو بلغ هذا الأمر إلينا بني عبد منافٍ تَزَقَّفْنَاه تَزَقُّفَ الأُكْرَةِ. اهـ فهذ قالها من أيام عمر! (وهي من شواهد اغتياله لعمر، فقد قالها يوم تولى عمر الخلافة، يعني عام ١٣هـ بعد وفاة النبي (ص) بسنتين فقط!)

١٤ – وأخفوا اسم معاوية هنا: ففي المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده – (ج ٣ / ص ١٩٤) : (..وفي الحديث: " لمّا بلغ عمر أن فلانا قال: لو بلغ هذا الأمر إلينا بني عبد مناف، يعني الخلافة، تزقَّفاه تّزَقُّف الأُكْرة " كل ذلك عن الهَرويّ في الغريبين، ولم أر الأُكْرة إلا في هذا الحديث.

١٥ – تهذيب اللغة للأزهري– (ج ٣ / ص ١٧٦) : زقف، وهو عربيٌّ صحيحٌ قرأتُ بخط شمر فيما ألّف من غريب الحديث فقال: بَلَغَ عمرَ ابن الخطاب أن معاوية قال: لو بلغَ هذا الأمر إلينا بني عبدِ منافٍ، يعني الخلافة تَزَقْفناهُ تَزَقَّفَ الأُكْرَةِ، قال شمر: التَّزقفُ كالتَلَقُّفِ، يقال: تَزَقفْتُ الكُرَةَ وَتَلَقَّفْتُها بمعنى واحد، وهو أخذُها باليد أو بالفم بين السماء والأرض.

١٦ – لسان العرب – (ج ٩ / ص ١٣٧) قال الأَزهري قرأْت بخط شمر في تفسير غريب حديث عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أَن معاوية قال لو بَلَغَ هذا الأَمرُ إلينا بني عبد مناف يعني الخلافة تَزَقَّفْناه تَزَقُّفَ الأُكْرةِ قال التَّزَقُّفُ كالتَلَقُّف وهو أَخذ الكرة باليد أَو بالفم يقال تَزَقَّفْتها وتَلَقَّفْتها بمعنى واحد وهو أَخذها باليد أَو بالفم بين السماء والأَرض على سبيل الاختطاف والاستلاب من الهواء وقوله بني عبد مناف منصوب على المدح أَو مجرور على البدل من الضمير في إلينا والزُّقْفةُ ما تَزَقَّفْتَه وفي الحديث أَن أَبا سُفيانَ قال لبني أَميةَ تَزَقَّفُوها تَزَقُّفَ الكرة يعني الخلافة

١٧ – تاج العروس – (ج ١ / ص ٥٨٩٤) (ومنه قَوْلُ مُعَاوِيَةَ لَمَّا بَلَغَهُ تَوَلِّي عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنهما الخلافَةَ : (لَوْ بَلَغَ هذا الأَمْرُ إلينا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ تَزَقَّفْنَاهُ تَزَقُّفَ الأُكْرَةِ) وفي الحديثِ : أَنَّ أَبا سُفْيَانَ قال لبَنِي أُمَيَّةَ : (تَزَقَّفُوهَا تَزَقُّفَ الْكُرَةِ) يعنِي الخِلاَفَةِ)

١٨ – وجاء دور أهل الحديث من الشاميين: ولاشتهار كلمة أبي سفيان فقد عمل الشاميون على تحويلها حديثاً للتغطية ففي : مسند الشاميين للطبراني – (ج ٣ / ص ٤٨٧) حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي ، ثنا العباس بن الوليد الخلال ، ثنا عباس بن نجيح أبو الحارث ، ثنا الهيثم بن حميد ، حدثني راشد بن داود ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال الخلافة في بني أمية يتلقفونها تلقف الأكرة ، فإذا نزعت منهم فلا خير في عيش » إذن فقد تحولت علامة الردة إلى أمنية نبوية! وهكذا تفعل السلطة بالتاريخ والحديث!